



ملاحم التكامل المعرفي عند الشيخ عبد الواحد بن عاشر الفاسي (ت.1040هـ / 1631م)

من خلال منظومته: "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"

د. بن قومار لخضر

أستاذ محاضر (أ) جامعة غرداية

benkoumar@univ-ghardaia.dz

benkoumar2011@gmail.com

ملخص

يتناول هذا البحث دراسة منظومة " المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"، التي وظّف فيها ناظمها الشيخ سيدي عبد الواحد بن عاشر رحمه الله معارفه العلمية وموسوعيته المعرفية، فظهر فيها التكامل المعرفي جليا، ولتجسيد ذلك فقد خصّصت مطلبا لترجمة الشيخ عبد الواحد بن عاشر ببيان نشأته العلمية وشيوخه ومؤلفاته وثناء العلماء عليه، ثم ثبتت بالتعريف بمنظومة المرشد المعين وقيمتها العلمية وشروحها، ثم تحدّثت عن ملاحم التكامل المعرفي عند الشيخ ابن عاشر من خلال منظومة المرشد المعين، حيث جمع فيها بين أقسام علوم الدين الثلاثة: علم العقيدة، وعلم الشريعة، وعلم التزكية والتربية والسلوك، وبين علم النقل والعقل، بين الفقه أصوله، وبين الفروع وأدلتها.

الكلمات المفتاحية: التكامل المعرفي؛ عبد الواحد بن عاشر؛ المرشد المعين على الضروري من علوم

الدين.

Abstract

Features of cognitive integration with Sheikh Abd al-Wahid ibn Ashir al-Fassi. (1040h/1631m)

Through his poem: "Almorshid almoeayn ala adharouri min eulum addyn".

This research deals with the study of the poem: Almorshid almoeayn ala adharouri min eulum adyn., where the organizer of it, Sheikh Sidi Abd al-Wahid ibn Ashir, may God have mercy on him, employed in it his scientific knowledge and his encyclopedia of knowledge, so that the cognitive integration was evident, and to embody that I assigned a requirement To translate Sheikh Abd al-Wahid bin Ashher, with a statement of his scholarly upbringing and writings, and the scholars 'praise for him. Then I commended the definition of the specific guide system, its scientific value, and its explanations. Then I talked about the features of cognitive integration of Sheikh Ibn Asher through the appointed guide poem, in which he combined the three departments of the sciences of religion: the science of belief, the science of Sharia, the science of education and behavior, and between the science of transmission and reason, between jurisprudence and its origins, and between the branches and their evidence.

Key words: cognitive integration, Abd al-Wahid ibn Ashir, Almurshid almueayn ala adharouri min eulum addyn.

مقدمة:

يُلاحظ الباحث أن العلوم الشرعية منذ أن نزل قول الله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) ﴾ (العلق الآية 1-5)، وهي في توسع وازدياد وتكامل وتناغم، ومنذ ذلك الحين والعلماء يهلون من معيها العظيم الذي يمثل ميراث الأنبياء، الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: " العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"¹ وقد اتسم كثير من العلماء بالموسوعية في العلم من أمثال الغزالي وابن رشد وابن خلدون وابن تيمية وغيرهم ممن جمعوا بين مختلف العلوم العقلية والنقلية، بين علوم الغايات وعلوم الآلات، جمعوا بين الفقه وأصوله، والحديث وعلوم الحديث رواية ودراية، والقرآن وتفسيره وعلوم القرآن، ومن هؤلاء العلماء الفطاحل الذين تجلى فيهم التكامل المعرفي في أنصع صورته الشيخ العلامة عبد الواحد بن عاشر الفاسي (ت:1040هـ) خصوصا في منظومته الذي ذاع صيتها وانتشر أريجها ألا وهي منظومة "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"، حيث جمع فيها بين أقسام علوم الدين الثلاثة: علم العقيدة، وعلم الشريعة، وعلم التزكية والتربية والسلوك، وجمع فيها بين علم النقل والعقل، بين الفقه أصوله.

- إشكالية البحث:

وعلى ضوء ما ذكرنا نطرح التساؤلات التالية:

- ما هي أبرز تجليات التكامل المعرفي عند الشيخ ابن عاشر من خلال منظومته المرشد المعين؟.

- ومن هو الشيخ عبد الواحد بن عاشر، وما هي نشأته العلمية وشيوخه ومؤلفاته؟.

- وما هي القيمة المعرفية العلمية لمنظومة المرشد المعين؟ وما هي دواعي نظمته؟.

- خطة البحث:

(1) رواه أبو داود، رقم الحديث: 3641، والترمذي رقم الحديث: 2682، ابن ماجه رقم الحديث: 223.

وللإجابة عن هذه التساؤلات: وضعت لهذه المداخلة الخطة التالية:

المطلب الأول: الشيخ ابن عاشر وحياته العلمية

الفرع الأول: ترجمة الشيخ عبد الواحد بن عاشر.

الفرع الثاني: نشأته العلمية وشيوخه

الفرع الثالث مؤلفاته وثناء العلماء عليه

المطلب الثاني: التعريف بمنظمة المرشد المعين وقيمتها العلمية وشروحها

الفرع الأول: التعريف بمنظمة المرشد المعين

الفرع الثاني: قيمتها العلمية

الفرع الثالث: ما وضع عليها من الشروح والحواشي

المطلب الثالث: ملامح التكامل المعرفي عند الشيخ ابن عاشر من خلال منظومة

المرشد المعين .

الفرع الأول: التكامل المعرفي بين العقيدة والفقه والتصوف.

الفرع الثاني: التكامل المعرفي بين العقل والنقل.

الفرع الثالث: التكامل المعرفي بين الفقه وأصوله و الفقه والحديث.

خاتمة : الاستنتاجات.

المطلب الأول: حياة للشيخ عبد الواحد بن عاشر العلمية¹.

الفرع الأول: نشأة الشيخ عبد الواحد بن عاشر العلمية

أولاً: التعريف به: هو الإمام العالم العلامة، الورع الناسك، أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري نسباً، الأندلسي أصلاً، الفاسي منشأً وداراً، ولد

(1) للوقوف على ترجمته وترجمة شيوخه وتلاميذه انظر: سلوة الأنفاس للكتاني، وطبقات الحضيكي، والإكليل والتاج للقادري، وتوشيح الديباج للقرافي، وشجرة النور الزكية لمحمد مخلوف، ومعلمة المغرب لحجي، وموسوعة أعلام المغرب، والدر الثمين لمبارة، والأعلام للزركلي وغيرها.

بمدينة فاس عام (990هـ/1582م)، المعروف بابن عاشر الفاسي، وهو من الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن عمر ابن عاشر السلاوي المتوفى سنة (765هـ)، وسكن بدار أسلافه الكبرى بحومة درب الطويل من فاس القرويين. وبها نشأ وتلقى تعليمه.

وللشيخ ابن عاشر - رحمه الله - مشاركة قوية في جل الفنون، وتبحر في عدد من العلوم، خصوصاً علم القراءات، والرسم، والضبط، والنحو، والإعراب، وعلم الكلام، والأصول، والفقه، والتوقيت، والتعديل، والحساب، والفرائض، والمنطق، والبيان، والعروض، والطب، وغيرها، وقد تصدّر للتدريس والمشخة والخطابة.

ثانياً: شيوخه¹:

بدأ تحصيل علومه بحفظ القرآن الكريم، فقرأه على يد الشيخ أبي العباس أحمد بن الفقيه سيدي عثمان اللمطي وعلى غيره، وأخذ القراءات السبع على يد الشيخ المحقق أبي العباس الكفيف، ثم على الشيخ أبي عبد الله محمد الشريف المري التلمساني (ت1052هـ)، وغيرهما. ولا شك أنه فاق أشياخه في التفنن في التوجيهات والتعليقات رحم الله جميعهم ، وكالإمام النحوي الأستاذ أبي الفضل قاسم بن أبي العافية الشهير بابن القاضي، والشيخ الفقيه المحدث المسند الراوية الأديب الحاج الأبر أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي المكناسي (ت1025هـ)، ابن عم أبي فضل المذكور قبله،

- وابن أبي النعيم الغساني،

- وكالإمام العالم المحقق قاضي الجماعة بفاس أبي الحسن علي بن عمران

- وكالإمام العالم مفتي فاس وخطيب حضرتهما أبي عبد الله محمد الهواري

- وقرأ الحديث على العلامة محمد الجنان (ت1050هـ)، وأبي علي الحسن البطيوي

وابن عزيز.

- وحضر مجالس محمد بن أبي بكر الدلائي (ت1046هـ) في التفسير والحديث.

(1) ميارة الفاسي: الدر الثمين والمورد المعين، تأليف: ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني - مصر (د.ت).

- وأخذ النحو وغيره من العلوم عن جماعة من الأئمة كالإمام العالم المتفنن مفتي فاس وخطيب حضرتهما أبي عبد الله محمد بن قاسم القصار القيسي
- وكشيخنا الإمام العالم المتفنن المفسر المسن قاضي الجماعة بفاس وخطيب حضرتهما ومفتيها أبي الفضل قاسم بن محمد أبي النعيم الغساني .
- وأخذ التصوف الشيخ العالم العامل الورع الزاهد أبي عبد الله محمد بن أحمد التجيبي (ت1022هـ)، شهر بابن عزيز التجيبي بفتح العين المهملة وكسر الزاي وعلى يده فُتِحَ عليه بسعة العلم والعمل. وكان رحمه الله تعالى يذكر له كرامات.
- وبعد أن تضيع العلامة ابن عاشر في عدد من العلوم رحل إلى المشرق، لما حجّ سنة (1008هـ)، فالتقى بالشيخ عبد الله الدنوشي،
- وأخذ عن الشيخ سالم السنهوري(ت1015هـ)، وعن الشيخ بركات الحطاب
- الإمام المحدث المعمر صفى الدين أبوعبد الله محمد بن يحيى العزي بكسر العين المهملة وكسر الزاي المشددة الشافعي
- وقرأ موطأ الإمام مالك بن أنس على الفقيه العالم المسن سيدي أبي عبد الله محمد الجنان
- وشمائل الترمذي على شيخنا الإمام العالم المحدث سيدي أبي الحسن علي البطيوي رحمة الله علينا وعليهم أجمعين
- ثالثاً: تلاميذه :
- أقبل كثير من الطلبة على الشيخ عبد الواحد بن عاشر ينهلون من علومه ويتلمذون عليه ومن أبرزهم:
- أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة (ت1072هـ).
- وأحمد بن محمد الزموري الفاسي(ت1057هـ).
- ومحمد الزوين (ت1040هـ).
- وعبد القادر الفاسي (ت1091هـ).

- والقاضي محمد بن سودة (ت1076هـ)، وغيرهم.

الفرع الثالث مؤلفاته وثناء العلماء عليه ووفاته.

أولاً: مؤلفاته:

ألف الشيخ ابن عاشر رحمه الله تأليف عديدة نافعة، في غاية التحرير والإتقان، بلغت حوالي أربعة عشر كتاباً، كان أهمها وأشهرها ، الذي سماه: «المرشد المعين على الضروري من علوم الدين»، وبه اشتهر وعرف، داخل فاس وخارجها، فاعتنى به الناس حفظاً، وشرحاً، وتعليقاً، وختماً، وإلى جانب تأليفه للمرشد المعين، ألف الشيخ ابن عاشر مجموعة من الكتب، منها:

- تقييد على العقيدة الكبرى للإمام محمد بن يوسف السنوسي.

- فتح المنان شرح مورد الظمان في علم رسم القرآن»، وأدرج فيه كتاب "الإعلان بتكميل مورد الظمان".

- شرح على مختصر خليل من النكاح إلى العلم.

- شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح.

- رسالة في عمل الربيع المجيب.

- مقطعات في جمع نضائر مهمة من الفقه والنحو.

ثانياً: ثناء العلماء عليه:

ومن أخلاقه رحمه الله التي اشتهر بها: الورع، والزهد، والجهاد ، والاعتكاف، والجهاد والتواضع، وحسن الخلق، وكان لا يأكل إلا من عمل يده، مثابراً على التعليم، كثير الإنصاف في المباحثة، وكانت له سلاسة في التعبير، وحسن العرض لدروسه في القرويين، ومن أقواله المأثورة في الإجازة: «لو لم يجيزوا إلا لمن أتقن ما بلغنا شيء»، وقوله: «قراءة الحزابين عذر في التخلف عن الجماعة»

وعبارات العلماء في الثناء على مترجمنا كثيرة، منها:

1- قال عنه الصغير الإفرائي: «كان ذا سمت حسن، مثابراً في تعليم الناس زاهداً في الدنيا، يأكل من كد يمينه، يضرب في الأرض على طلب الحلال، متواضعاً حسن الأخلاق، كثير الإنصاف في المباحثة، يأخذ العلم ممن هو دونه، يتولى جميع أموره بيده ويباشر شراء حوائجه من السوق بيده»¹.

2- وقال عنه صاحب سلوة الأنفاس: « الشيخ الإمام الكبير، العالم العلامة الشهير، الحجة المشارك، الورع الناسك، الخطيب المقرئ المجاهد، الحاج الأبر الزاهد، شيخ الجماعة بفاس ونواحيها، كان -رحمه الله- ممن له التبهر في العلوم، والمشاركة في الفنون، عالماً عاملاً، عابداً ورعاً زاهداً...، وله اليد الطولى في علم القراءة، يبحث مع الجعبري، وله حاشية عليه، وانفرد في عصره بعلم الرسم، وله شرح عجيب على "مورد الضمان"، سماه "فتح المنان"، وأدرج فيه تأليفاً آخر سماه: "الإعلان بتكميل مورد الضمان" في كيفية رسم قراءة غير نافع من بقية السبعة في نحو خمسين بيتاً وشرحه، وله أيضاً الباع الطويل»².

3- قال عنه الشيخ ميارة: «وكان الناظم رحمه الله ذا معرفة بالقراءات وتوجيهها والنحو والتفسير والإعراب والرسم والضبط وعلم الكلام يحفظ نظم ابن زكري عن ظهر قلب ويعلم الأصول والفقه والتوقيت والتعديل والحساب والفرائض وعلم المنطق والبيان والعروض والطب وغير ذلك وحج وجاهد واعتكف وكان يقوم من الليل ماشاء الله تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته في النحو والصرف والتفسير، والفقه والتصوف والأصليين، والمنطق والبيان والعروض، والطب والتوقيت والتعديل، والحساب والفرائض... وغير ذلك. وألف - رحمه الله - تأليف عديدة في غاية التحرير والإتقان، منها: نظمه المشهور في قواعد الإسلام الخمس ومبادئ التصوف، وهو المسمى "بالمُرشد المعين على الضروري

(1) الصغير الإفرائي: صفوة من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، مركز التراث الثقافي المغربي، الطبعة الأولى: سنة 2004م، ص: 124.

(2) الكتاني أبو عبد الله: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس، سلوة الأنفاس، دار الثقافة، سنة 2004م، ج2، ص: 311.

من علوم الدين"، ابتدأ نظمه حين أحرم بالحج، فنظم أفعال الحج مرتبة من قوله: وإن تُرد ترتيب حجك...إلى آخره. ثم لما انفصل عن حجه، كمل ما يتعلق بالقواعد الخمس¹.

ثالثاً: وفاته رحمه الله تعالى: توفي ابن عاشر رحمه الله عن عمر يناهز الخمسين سنة، بفاس يوم الخميس 3 ذي الحجة عام 1040هـ /، الموافق 3 يوليوز 1631م ودفن من الغد بأعلى مطرح الجنة، بقرب مصلى باب فتوح بفاس، وبني عليه قوس معروف غرب روضة يوسف الفاسي، بجوار السادات المنجيين. رحمه الله تعالى².

المطلب الثاني: التعريف بمنظمة المرشد المعين وقيمتها العلمية وشروحها.

الفرع الأول: التعريف بمنظومة المرشد المعين.

متن ابن عاشر المسمى بـ "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"، هو عبارة عن منظومة ضمت 314 بيتاً (بعد الديباجة) من بحر الرجز في العقيدة والفقه والسلوك (التصوف)، وهي منظومة ذاع صيتها وتلقتها الأمة الإسلامية بالقبول حتى اعتبرت درة من دُر الفقه المالكي.

والمنظومة وإن كانت صغيرة الحجم، فقد جمعت أصول الدين وفروعه، مما لا يسع المسلم جهله، في أوجز لفظ، وأوضح عبارة، تقيدها فيها ابن عاشر بالمذهب المالكي، والمنظومة كذلك لا تخلو من دليل يرتكز على الكتاب والسنة والأصول التي اعتمدها المالكية في مذهبيهم، لذلك ظلت المنظومة ولا تزال المنطلق الأول لمن أراد دراسة الفقه المالكي³.

مهّد في فاتحتها بخمسة أبيات(05)، ذكر فيها مقصوده من نظمها، وأنه شرع فيها حين أحرامه بالحج، ثم لما انفصل عن حجه كمل ما يتعلق بقواعد الإسلام الخمس، ولخص هدفه منها بقوله:

مبتدئاً باسم الإله القادر

يقول عبد الواحد بن عاشر

(1) ميارة الفاسي: مرجع سابق، ص: 3-4.

(2) الكتاني: مرجع سابق، ج 2، ص: 311، ميارة الفاسي: مرجع سابق، ص: 5.

(3) انظر: فرح حسين اليوسيفي: تعليقات أصولية حديثية على المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، مكتبة نور، ص: 02.

الحمد لله الذي علمنا
صلى وسلم على محمد
وبعد فالعون من الله المجيد
في عقد الأشعري وفقه مالك
من العلوم ما به كلفنا
وأله وصحبه والمقتدي
في نظم أبيات للأمي تفيد
وفي طريقة الجنيد السالك

وأتبع هذا الديباجة بمقدمة عقدية قصد فيها إلى بيان أمهات العقائد على مذهب الإمام المجدد أبي الحسن الأشعري (ت324 هـ)، حيث جاءت مقاصده معربة عن التوجهات الأصلية الكبرى للمذهب الأشعري، و التي ينتظمها أصل التنزيه والتعظيم مقصداً، وأصل الوسطية والاعتدال منهجاً.

مع بيان قواعد الإسلام الخمس وأركان الإيمان وبين مرتبتي الإحسان في حدود (42 بيتاً).

ثم أعقبها بمقدمة أخرى في علم أصول الفقه في (6 أبيات) بيّن فيها الحكم الشرعي وأقسامه وشروطه، ثم أحكام الطهارة بما يشمل من وضوء، وغسل، وتيمم في (45 بيتاً) بيّن فيها فرائض الوضوء وسننه و نواقضه، وفرائض الغسل ومندوباته وموجباته، والتيمم وأحكامه، ثم نظم أحكام الصلاة وما يتعلق بها في حدود(85 بيتاً) ذكر فيها فرائضها وشروطها وسننها ومندوباتها ومكروهاتها، وأحكام الأذان والقصر في السفر، ثم ذكر الصلوات الخمس المفروضة والصلوات المسنونة والمستحبة، وأحكام سجود السهو وصلاة الجمعة وشروط الإمام، ثم أحكام الزكاة وأنواعها ومصارفها في (29 بيتاً)، ثم أحكام الصيام الفرض منه والمستحب في (18 بيتاً)، ثم أحكام الحج والعمرة في (62 بيتاً)، ثم ختم نظمه بالتصوف ومبادئه في (27 بيتاً) على طريقة الإمام الجنيد البغدادي فيما يخص التوبة والاستغفار والكف عن المحارم وتطهير القلب من الأدران ومحاسبة النفس .

الفرع الثاني: قيمتها العلمية.

عرف العديد من العلماء لهذه المنظومة قدرها، فأقبلوا على تدريسها في حلقاتهم العلمية، ووجهوا طلبتهم إلى حفظها، ووضعوا عليها التقايد والشروح الكثيرة التي لا تحصى كثرة، ومن ثنائهم عليها وامتداحهم لها، منها:

1- ما أنشده العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد العياشي؛ إذ قال¹:

عليك إذا رمت الهدى وطريقه	وبالدين للمولى الكريم تدين
بحفظ لنظم كالجمان فصوله	وما هو إلا مرشد ومعين
كأن المعاني تحت أفاضه وقد	بدت سلسبيلاً بالرياض معين
وكيف وقد أبداه فكر ابن عاشر	إمام هدى للمكررات يبين
تضلع من كل العلوم فما له	شبيه ولا في المعلومات قرين
وأبرز ربات الحجال بفهمه	فها هي أبكار لديه وعين
وأعمل فكراً سالماً في جميعها	فذل له صعب ولان حرون

2- وقال عنها تلميذه العلامة محمد ميارة (ت1072 هـ)، وهو يعدد تأليف الإمام ابن عاشر: «ألف تأليف عديدة، منها هذه المنظومة العديدة المثل في الاختصار، وكثرة الفوائد والتحقيق، ومحاذاة مختصر الشيخ خليل، والجمع بين أصول الدين وفروعه، بحيث إن من قرأها وفهم مسألها، خرج قطعاً من ربة التقليد والمختلف في صحة إيمان صاحبه، وأدى ما أوجب الله عليه تعلمه من العلم الواجب على الأعيان»²

3 – وهي من الكتب الهامة التي برمجتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة الشيخ عبد الحميد ابن باديس رحمه الله وقررها على طلابها .

4- كما هو مقرر في التعليم الزيتوني بتونس.

اقتباس العلماء من المنظومة:

واعتباراً لقيمة هذه المنظومة، نجدها معتمدة من كبار الفقهاء المالكية؛ فالإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي (ت1203 هـ) ينقل عنها في أكثر من (83 موضعاً) من حاشيته على أحمد الدردير في شرح مختصر خليل، وبلغت النقول عنها عند العلامة محمد عليش (ت1299 هـ) إلى مائة نقل في منح الجليل شرح مختصر خليل،

(1) الشيخ ميارة: مرجع سابق، ص: 04.

(2) الشيخ ميارة: مرجع سابق، ص: 04.

وحوالي ثلاثة عشر نقلاً عند الإمام أحمد الصاوي (ت 1241 هـ) في كتابه بلغة السالك لأقرب المسالك.

- طبعاته:

طُبع هذا الكتاب عدة طبعات من مختلف دور النشر العربية، سواء بمفرده أو مع شروحه وخاصة شرح الإمام محمد ميارة الفاسي، وطبع متنه مستقلاً عام (1262هـ) بفاس، ثم بمصر عام (1300هـ)، وتوالت طبعاته منها: طبعة مكتبة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ثم طبعة دار الفكر، ومنها طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري- مطبعة فضالة- المغرب.

الفرع الثالث: ما وضع عليها من الشروح والحواشي

تلقت الأمة هذه المنظومة بالقبول والاستحسان، حيث أفردتها علماء الغرب الإسلامي على الخصوص بالشروح حتى أصبحت مستنداً لكل طالب علم، وتصدّر تدريسها الحلقات العلمية بالمساجد والمعاهد، ووجّه العلماء طلبتهم لحفظها ومدارستها. فكثرت شروحها ومختصراتها، كما اتسمت هذه الشروح بالوفرة والتنوع، فمنهم من خصها بالشرح المطول لسائر أبوابها، ومنهم من أفرد أحد الأبواب الثلاثة بالشرح المستفيض أي العقيدة أو الفقه أو التصوف، ومنهم من اكتفى بالشرح المختصر، ومنهم من اتجهت عنايته إلى شرحه شرحاً إشارياً على اصطلاح أهل التصوف.

ومن هذه الشروح:

1- الدر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين لتلميذه الأبر الشيخ محمد ميارة الفاسي (1072هـ).

2- مختصر الدر الثمين للشيخ ميارة

3- وحاشية الفقيه الطالب بن الحاج على شرح ميارة،

4- المورد المعين في شرح المرشد المعين للعلامة محمد بن الطيب بن عبد السلام الحسيني القادري (ت 1187هـ)

- 5- التقريب والتبيين لحل أفاظ المرشد المعين للعلامة محمد بن العربي الهاشمي الزرهوني(ت1260هـ) مخطوط.
- 6- مورد الشارعيين في قراءة المرشد المعين للأستاذ عبد الصمد التهامي كنون (ت1352هـ).
- 7- الشرح الكبير على ابن عاشر للنايعة الغلاوي الشنقيطي (ت 1245هـ) ، وهو مفقود¹
- 8- المباشر على ابن عاشر للنايعة الغلاوي الشنقيطي اختصره من شرحه السابق الذكر
- 9- النور المبين على المرشد المعين للعلامة المحقق الشيخ محمد بن يوسف المعروف بالكافي.
- 10- الجبل المتين على نظم المرشد المعين للفقيه محمد بن محمد بن عبد الله بن المبارك الفتحي المعروف بابن المؤقت المراكشي (1369هـ).
- 11- مفيد العباد سواء العاكف فيه والبادي على شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين للشيخ أحمد بن البشير الغلاوي الشنقيطي
- 12- العرف الناشر في شرح وأدلة فقه متن ابن عاشر للمختار بن العربي الجزائري الشنقيطي.
- 13- شرح منظومة ابن عاشر في الفقه المالكي لأحمد مصطفى قاسم الطهطاوي.
- 14- توضيح الدين على المرشد المعين لمحمد الطيب بن أحمد بن الحسن بوسنة الجزائري.
- 15- التمكين لأدلة المرشد المعين لأحمد الورايني.
- 16- المبين عن أدلة المرشد المعين للأستاذ محمد العمراوي.

(1) انظر: كتابنا: نظم المعتمد من الأقوال والكتب في المذهب المالكي للنايعة الغلاوي الشنقيطي، ت: بن قومار لخضر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2009، ص:59.

17- الكلام المفهوم على متن ابن عاشر المنظوم لعلال نوريم.

18- إرشاد المريدين لفهم معاني المرشد المعين للشيخ علي بن عبد الصادق العبادي (ت1138هـ).

19- شرح الفوز المبين بالمرشد المعين للشيخ مولاي الحبيب بن عبد الرحمان التواتي الجزائري.

المطلب الثالث: ملامح التكامل المعرفي عند الشيخ ابن عاشر من خلال منظومة المرشد المعين .

إن التكامل بين العلوم الإسلامية أصبح صحّت أصبح من البديهيات المقطوع بها، فامتتيع الدارس للعلوم الشرعية يجدها تنتهي إلى مشكاة واحدة هي مشكاة النبوة والوحي، فهي بمثابة الأغصان المتصلة بجذع شجرة الشريعة، مشدودة الوثاق، موحدة الأفاق، دانية على الناس ظللها وثمارها. يقول ابن خلدون كاشفا عن هذا المعنى: " فلما كُتبت العلوم ودُوّنت، وألف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك، كتب رجالٌ من أهل هذه الطريقة- يقصد الصوفية - في طريقتهم، فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والتترك كما فعله المحاسبي في كتاب "الرعاية"، ومنهم من كتب في آداب الطريقة وأذواق أهلها ومواجيدهم كما فعل القشيري في "الرسالة"...، وصار علم التصوف في الملة علما مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط"¹.

الفرع الأول: التكامل المعرفي من خلال الجمع بين العقيدة والفقه والتصوف

من المعلوم أن من مظاهر التكامل المعرفي و أغراضه التوحيد بين المعرفة العلمية والمعرفة التطبيقية²، ومن هنا جاءت الصلة بين "علم العقيدة" و"علم الفقه" و"علم التصوف أو السلوك" محكومة بقانون التكامل، فالأحكام الفقيه لا تستغني عن قواعدها

(1) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون: دراسة وتحقيق: علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط4، 2006م، ج3، ص991.

(2) انظر: بكر تركي عبد الأمير الحبيب، استخدام مداخل التكامل المعرفي في التطوير التنظيمي لمنظمات الخدمة العامة، Journal of Baghdad College of Economic sciences University، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، ISSN: 2072778X Year: 2006 Issue: 12 Pages: 192-212 Publisher: Baghdad College of Economic Sciences كلية بغداد للعلوم الاقتصادية ص3.

التي هي الأصول، ولا أن تنفك عن المقاصد الشرعية، وهي بحاجة إلى أنوار التزكية وصدق التوجه الذي هو التصوف.

ولهذا التلازم بين الفقه والعقيدة والتصوف، حرص علماء المغرب على تحصيل هذه العلوم مع بعضها، فأصبحت عندهم من الثوابت التي لا يمكن أن يطغى فيها جانب على الآخر؛ وقد لخص ابن عاشر رحمه الله هذال منهج وبين هدفه من هذه المنظومة في ديباجتها فقال:

وبعد فالعون من الله المجيد

في نظم أبيات للآمي تفيد

في (عقد الأشعري) و(فقه مالك)¹ وفي (طريقة الجنيد) السالك¹

وقد انشر مذهب الإمام مالك رحمه الله إمام دار الهجرة في المغرب العربي لأسباب عديدة ووجيهة لا يسمح المقام بذكرها، وما اختاره أهل المغرب العربي إلا وهو أهل لذلك الاختيار. وساروا على طريقة أبي الحسن الأشعري في العقائد التي كانت سائدة وتلقاها كبار العلماء بالقبول، واختاروا في التصوف والسلوك طريقة أبي القاسم الجنيد لكونه سيد الطائفة، والإمام المشهود له بالعلم والورع، وقطب العلم والعلماء. كيف لا وهو القائل: "علمنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ الكتاب، ويكتب الحديث، ولم يتفقه، لا يقتدى به"².

قال عنه ابن تيمية رحمه الله: "كان الجنيد رضي الله عنه سيد الطائفة إمام هدى... والجنيد وأمثاله أئمة هدى"³ وقال: "كان الجنيد رضي الله عنه سيد الطائفة، ومن أحسنهم تعليماً وتأديباً وتقويماً"⁴ وقال: "فمن سلك مسلك الجنيد من أهل التصوف و المعرفة كان قد اهتدى ونجا وسعد"⁵

1) المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، عبد الواحد ابن عاشر، نشرة بعناية صلاح المجذوب، ط 03، 2012، ص 03.

2) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ، ج20، ص: 272.

3) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ، ج5، ص: 491.

4) ابن تيمية: مرجع سابق، ج10، ص: 686.

5) ابن تيمية:، مرجع سابق، جزء 14، ص: 355.

وعن ضرورة الجمع بينه وبين الفقه والإيمان، يقول الشيخ أحمد زروق: في القاعدة الرابعة: "صدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق تعالى وبما يرضاه. ولا يصح مشروط بدون شرطه قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ (الزمر:8). فلزم تحقيق الإيمان، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ (الزمر:8). فلزم العمل بالإسلام. فلا تصوف إلا بفقهه، إذ لا تُعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف، إذ لا عمل إلا بصدق وتوجه، ولا هما إلا بإيمان؛ إذ لا يصح واحد منهما دونه، فلزم الجمع؛ لتلازمهما في الحكم، كتلازم الأرواح للأجساد؛ إذ لا وجود لها إلا فيها كما لا حياة لها إلا بها¹. ويقول الشيخ زروق وهو يشرح العلاقة بين الفقه والتصوف في (القاعدة 26):

"حكم الفقه عام في العموم، لأن مقصده إقامة رسم الدين، ورفع مناره وإظهار كلمته. وحكم التصوف خاص في الخصوص، لأنه معاملة بين العبد وربّه، من غير زائد على ذلك، فمن ثم صح إنكار الفقيه على الصوفي، ولم يصح إنكار الصوفي على الفقيه، ولزم الرجوع من التصوف للفقه في الأحكام والحقائق لا بالنبد والترك وصح الاكتفاء به دونه، ولم يكف التصوف عن الفقه بل لا يصح دونه، ولا يجوز الرجوع منه إليه إلا به، وإن كان أعلى منه رتبة فهو أسلم وأعم مصلحة.

وفي ذلك قيل: كن فقيها صوفيا، ولا تكن صوفيا فقيها. وصوفي الفقهاء أكمل من فقيه الصوفية وأسلم، لأن صوفي الفقهاء قد تحقق بالتصوف حالا وعملا وذوقا، بخلاف فقيه الصوفية فإنه المتمكن من علمه وحاله، ولا يتم له ذلك إلا بفقه صحيح، وذوق صريح"².

ومنه قول مالك رحمه الله: (من تصوف ولم يتفقه، فقد تزندق. ومن تفقه ولم يتصوف، فقد تفسق. ومن جمع بينهما، فقد تحقق)، قال زروق شارحا لقول مالك رحمه الله: تزندق الأول؛ لأنه قال بالجبر الموجب لنفي الحكمة والأحكام. وتفَسَّقَ الثاني: لخلو عمله من التوجه الحاجب منهما عن معصية الله "تعالى"، ومن الإخلاص المشترط في العمل لله. وتحقق الثالث: لقيامه بالحقيقة في عين التمسك بالحق"³.

(1) أحمد زروق، قواعد التصوف، دار الكتب العلمية- لبنان، ط 2007، 1م.ص22.

(2) أحمد زروق، المرجع نفسه، ص32.

(3) أحمد زروق: المرجع نفسه، ص22-23.

ويقول الشيخ زروق: "اعلم أن الفقه والتصوف أخوان في الدلالة على أحكام الله سبحانه، إذ حقيقة التصوف ترجع إلى صدق التوجه إلى الله من حيث يرضى بما يرضى"¹، ويقول أيضا: "التصوف لا يعتبر إلا مع العمل به، والاستظهار به دون عمل تدليس وقد قيل العلم يهتف بالعمل فإن وجدته وإلا ارتحل"².

وسوف نوضّح منهج الشيخ ابن عاشر رحمه الله في جمعه بين هذه العلوم الثلاثة : علم العقيدة والفقه والتصوف.

أولاً: العقيدة: عقدها الشيخ ابن عاشر رحمه الله في (42 بيتا)، حيث مهد الشيخ ابن عاشر رحمه الله لعلم العقيدة بمقدمة في ثمانية أبيات (08) تعرض فيها لتعريف الحكم العقلي وبيان أقسامه، وبيان أول واجب على المكلف، وشروط التكليف، قال رحمه الله:

مقدمة لكتاب الاعتقاد معينة لقارئها على المراد

وَحُكْمُنَا الْعَقْلِي قَضِيَّةٌ بِلَا	وَقَفٍ عَلَى عَادَةٍ أَوْ وَضَعٍ جَلًّا
أَقْسَامٌ مُفْتَضَاهُ بِالْحَصْرِ ثَمَّازُ	وَهِيَ الْوُجُوبُ الْاسْتِحَالَةُ الْجَوَازُ
فَوَاجِبٌ لَا يَقْبَلُ النَّفْيَ بِحَالٍ	وَمَا أَبَى الثُّبُوتَ عَقْلًا الْمُحَالُ
وَجَائِزًا مَا قَابَلَ الْأَمْرَيْنِ سَم	لِلضَّرُورِيِّ وَالنَّظَرِيِّ كُلُّ قَسِمٍ
أَوَّلٌ وَاجِبٌ عَلَى مَنْ كَلَّفَا	مُمْكِنًا مَنْ نَظَرَ أَنْ يَعْرِفَا
اللَّهِ وَالرُّسُلَ بِالصِّفَاتِ	مِمَّا عَلَيْهَا نَصَبَ الْآيَاتِ
وَكُلُّ تَكْلِيفٍ بِشَرْطِ الْعَقْلِ	مَعَ الْبُلُوغِ بِدَمٍ أَوْ حَمَلِ
أَوْ بِمَيِّ أَوْ بِإِنْبَاتِ الشَّعْرِ	أَوْ بِثَمَانِ عَشْرَةَ حَوْلًا ظَهَرَ

(1) أحمد زروق: عدة المرید الصادق، ضبطه: عاصم إبراهيم الكيلاني، (دار الكتب العلمية- لبنان، ط7، 2007م)، ص20.

(2) عبد الرؤوف المناوي: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية- لبنان، ط1، 2008م، ج2، ص363.

ثم نظم باب العقيدة فيما يتعلق بالإلهيات والنبوات تحت عنوان: (كتاب أم القواعد وما انطوت عليه من العقائد) في (27) بيتا، بيتا، مبينا فيها ما يجب اعتقاده في الله عز وجل وما يستحيل وما يجوز وما يجب اعتقاده مما يتصف به الرسل عليهم السلام وما يستحيل وما يجوز، وخاتما ذلك بأن شهادة "أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله" تحتوى على كل ما سبق ذكره من صفات في حق الله عز وجل، وفي حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال رحمه الله:

وقول لا إله إلا الله
محمد أرسله الإله
يجمع كل هذه المعاني
كانت لذا علامة الإيمان
وهي أفضل وجوه الذكر
فاشغل بها العمر تفر بالذخر

ثم ختم باب العقيدة بفصل في (7 أبيات) بين فيه ضرورة تكامل واجتماع علم العقيدة والفقه والتصوف، الممثلة لقسم الإيمان والإسلام والإحسان، فبين فيه قواعد الإسلام الخمس، وأركان الإيمان، ومرتبتي الإحسان وأكد أن مجموع هذه الأقسام الثلاثة هي الدين ، (والدينُ ذي التَّلاثِ خُذْ أَقْوَى عُرَاكُ) وهذا أخذاً من قوله صلى الله عليه وسلم : بعد أن ذكر الإسلام والإيمان والإحسان قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" ¹ قال رحمه الله تعالى:

(فصل) وَطَاعَةُ الْجَوَارِحِ الْجَمِيعِ
قَوْلًا وَفِعْلًا هُوَ الْإِسْلَامُ الرَّفِيعُ
إلى أن قال:

إِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ إِنَّهُ يَرَاكَ
وَالدِّينُ ذِي التَّلاثِ خُذْ أَقْوَى عُرَاكُ

ثانيا: الفقه: عقده الشيخ ابن عاشر باب الفقه في حوالي (245 بيتا)

افتتحه بمقدمة في علم أصول الفقه في (6 أبيات) بيّن فيها الحكم الشرعي وأقسامه وشروطه، عنوانها بعنوان: (مقدمة من الأصول معينة في فروعها على الوصول) .

(1) انظر الحديث بكامله في صحيح البخاري من رواية أبي هريرة كتاب الإيمان رقم: (37) باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم . حديث رقم: (50) ومسلم في صحيحه من كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان حديث رقم: (8).

- أحكام الطهارة في (45 بيتاً) بين فيها فرائض الوضوء وسننه و نواقضه، وفرائض الغسل ومندوباته وموجباته، والتيمم وأحكامه،

- أحكام الصلاة وما يتعلق بها في حدود (85 بيتاً) ذكر فيها فرائضها وشروطها وسننها ومندوباتها ومكروهاتها، وأحكام الأذان والقصر في السفر، ثم ذكر الصلوات الخمس المفروضة والصلوات المسنونة والمستحبة، وأحكام سجود السهو وصلاة الجمعة وشروط الإمام.

- أحكام الزكاة وأنواعها ومصارفها في (29 بيتاً).

- أحكام الصيام الفرض منه والمستحب في (18 بيتاً).

- أحكام الحج والعمرة في (62 بيتاً).

ولم يخرج ابن عاشر رحمه الله تعالى في الفقه عن المشهور والمعمول به في المذهب المالكي، إلا في مسألتين كما ذكر لنا شيخنا الشيخ بل كبير رحمه الله تعالى هما:

أ- عده سنن الوضوء (سبعاً) والمشهور أنها (ثمان) بإضافة سنة تجديد الماء لمسح الأذنين.

ب- عده إطفاء المرأة ناقضاً من نواقض الوضوء والمشهور أنه لا ينقض.

" قال النابغة الغلاوي الشنقيطي: "تبعث أفاض ابن عاشر كلها منذ خمسة عشر سنة وشرحته شرحين كبيراً وصغيراً وطالعت جملة شروحه ولم أجد قولاً ضعيفاً يخالف المشهور إلا قولين قوله: في فرائض الوضوء سبع، والمشهور أنها ثمانية، وقوله في نواقض الوضوء: إطفاء امرأة والمشهور عدم النقض مطلقاً"¹.

(1) انظر: النابغة الغلاوي الشنقيطي : المباشر على ابن عاشر، المطبعة التونسية، 1345هـ ص: 151. الشريف عبد الله ولد إبراهيم ولد عبدات: فتح المعين في شرح المرشد المعين في الفقه المالكي مربوطاً بأدلته، طبعة دار الفكر أنواكشوط موريتانيا ط1 2008م. ص 8.

ثالثاً: التصوف والسلوك:

ختم الشيخ ابن عاشر نظمه بالتصوف ومبادئه في (27 بيتاً) وعنون له بعنوان: "مبادئ التصوف وهوادي التعرف" على منهج وطريقة الإمام الجنيد البغدادي فيما يخص التوبة والاستغفار والكف عن المحارم وتطهير القلب من الأدران ومحاسبة النفس .

وأصل التصوف مقام الإحسان الذي فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم " أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"¹. فالتصوف أحد أجزاء الدين، الذي علمه صلى الله عليه وسلم جبريل ليعلمه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وقد تحدث في هذا الباب عن التوبة وشروطها وعن حقيقة التقوى وأقسامها الأربعة، وهي امتثال الأوامر في الظاهر والباطن، كالقيام بواجبات الدين الظاهرة من صلاة وزكاة و صوم وحج وجهاد وبر للوالدين وكالصدق الزهد والخوف والرجاء وحب الله ورسوله، واجتناب النواهي في الظاهر والباطن، كالمعاصي الظاهرة من قتل وزنى وشرب خمر وكالكبر والحسد والعجب والرياء، كما تحدث في هذا المقام عن ضرورة مصاحبة شيخ والأخذ عنه وبين صفات الشيخ الذي يقتدى به في هذا المجال، وعن محاسبة النفس ووزن أعماله كلها بميزان الشريعة. قال الغزالي: "إن المحققين قالوا: لو رأيت إنساناً يطير في الهواء ويمشي على الماء وهو يتعاطى أمراً يخالف الشرع فاعلم أنه شيطان، وهو الحق"² قال الشافعي رحمه الله: "لو رأيت صاحب هوى يطير في الهواء فلا تغتر به"³. وقال البسطامي: "لو رأيت الرجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تنظروا وقوفه عند الأمر والنهي"⁴.

(1) انظر الحديث بكامله في صحيح البخاري من رواية أبي هريرة كتاب الإيمان (37) باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم .حديث(50) ومسلم في صحيحه من كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان حديث(8).

(2) الغزالي أبو حامد: المنقذ من الضلال، ت: عبد الحلیم محمود، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1979م، ص:248.

(3) ابن الجوزي : تلييس إبليس، ت: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1419هـ ص:24.

(4) ابن تيمية: مرجع سابق، ج1، ص:83.

وقد نظم هذا سيدي عبد الرحمان الأخضر في منظومته القدسية¹:

وقال بعض السادة الصوفية

مقالة جليلة وفيه

إذا رأيت رجلا يطير

وفوق ماء البحر قد يسير

ولم يقف عند حدود الشرع

فإنه مستدرج وبدعي

وقال الشاطبي رحمه الله: "إن الصوفية الذين نسبت إليهم الطريقة مجمعون على تعظيم الشريعة مقيمون على متابعة السنة غير مخلين بشيء من آدابها، أبعد الناس عن البدع وأهلها، ولذلك لا نجد منهم من ينتسب إلى الفرق الضالة"²

الفرع الثاني: التكامل المعرفي بين النقل والعقل،

وظف الشيخ ابن عاشر رحمه الله معارفه وعلومه في إطار تكاملي في هذه المنظومة، حيث زاوج بين النقل والعقل والفقه وأصوله،

أولاً: التكامل بين النقل والعقل: فقد استفاد من علم المنطق، وقدم لعلم العقيدة بمقدمة تحدث فيها عن الحكم العقلي وأقسامه، وهو الواجب والمستحيل والجائر، وبين أن كل واحد من هذه الأقسام الثلاثة ينقسم إلى ضروري ونظري، قال رحمه الله:

مقدمة لكتاب الاعتقاد معينة لقارئها على المراد

وَحُكْمُنَا الْعَقْلِي قَضِيَّةٌ بَلَا
وَقَفِّ عَلَى عَادَةٍ أَوْ وَضَعٍ جَلَا
أقسام مُقْتَضَاهُ بِالْحَصْرِ تُمَاز
وَهِيَ الْوُجُوبُ الْإِسْتِحَالَةُ الْجَوَازُ
فواجب لا يَقْبَلُ النَّفْيَ بِحَالٍ
وما أَبَى الثُّبُوتَ عَقْلًا الْمُحَالُ
وجائزاً ما قَابَلَ الْأَمْرَيْنِ سَم
لِلضَّرُورِيِّ وَالنَّظْرِيِّ كُلُّ قُسِمِ

كما انه استعمل علم المنطق حين استدل على صفات الله عز وجل فقال:

1) الجكني محمد حبيب الله: فتح المنعم ببيان ما احتيج لبيانه من زاد المسلم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1401 هـ، ج3، ص:328.

2) الشاطبي: الاعتصام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص:69.

وجوده له دليل قاطع	حاجة كل محدث للصانع
لو حدثت بنفسها الأكوان	لاجتمع التساوي والرجحان
وذا محال وحدوث العالم	من حدث الأعراض مع تلازم
لو لم يكن القدم وصفه لازم	حدوثه دور تسلسل حتم
لو أمكن الفناء لانتفى القدم	لو مائل الخلق حدوثه انحتم
لو لم يجب وصف الغنى له افتقر	لو لم يكن بواحد لما قدر
لو لم يكن حيا مريدا عالما	وقادرا لما رأيت عالما
و(التالي) في الست (القضايا)	باطل قطعاً (مقدم) إذا مماثل
والسمع والبصر والكلام	(بالنقل) (مع كماله ترام)
لو استحال ممكن أو وجبا	قلب الحقائق لزوماً أوجبا

الفرع الثالث: التكامل المعرفي بين الفقه وأصوله.

أولاً: الجمع بين الفقه وأصوله: افتح الشيخ ابن عاشر باب الفقه المتمثل في أركان الإسلام الخمسة بمقدمة أصولية من ستة أبيات (06) عنون لها بعنوان: "مُقدِّمَةٌ مِنَ الْأَصُولِ مُعَيَّنَةٌ فِي فُرُوعِهَا عَلَى الْوُصُولِ" ثم ذكر التعريف الصولي للحكم الشرعي بقسميه التكليفي والوضعي فقال:

الْحُكْمُ فِي الشَّرْعِ خِطَابٌ رَبَّنَا
بِطَلْبِ أَوْ إِذْنِ أَوْ بَوْضَعِ
الْمُقْتَضِي فِعْلَ الْمُكَلَّفِ أَفْطُنَا
لِسَبَبِ أَوْ شَرْطِ أَوْ ذِي مَنْعِ

ثم بين أقسام الحكم التكليف الخمسة فقال:

أَقْسَامُ حُكْمِ الشَّرْعِ خَمْسَةٌ تُرَامُ
(فَرَضٌ) وَ(نَدْبٌ) وَ(كِرَاهَةٌ) (حَرَامٌ)

ثم (إباحة)

ثم عرف كل حكم من الأحكام التكليفية الخمسة فقال:

..... فَمَأْمُورٌ جُزْمٌ
(فَرَضٌ) وَدُونَ الْجَزْمِ (مَنْدُوبٌ) وَبِسْمِ

ذو النَّبِيِّ (مَكْرُوهٌ) وَمَعَ حَتْمٍ (حرام) مَاذُونٌ وَجَهَيْهِ (مُبَاحٌ) ذَا تَمَامٍ

ثم بين أن الفرض قسمان فرض عين وفرض كفاية، وأن المندوب يشمل السنن وهو بدروه ينقسم إلى قسمين مندوب على الأعيان ومندوب على الكفاية فقال:

وَالْفَرُضُ قِسْمَانِ كِفَايَةٌ وَعَيْنٌ وَيَشْمَلُ الْمُنْدُوبُ سُنَّةً بِذَيْنِ

ثانيا: الجمع بين الفروع وأدلتها :

كان الشيخ ابن عاشر- رحمه الله- يجنح إلى ربط الفروع الفقهية بأدلتها من الكتاب والسنة، بحيث يبني نظمه على أسلوب النص ولغته ولا يتعد عنه، ومن أمثلة ذلك:

1- بيان قواعد الإيمان والإيمان، حيث ذكر قواعد الإسلام الخمس، وأركان الإيمان، ومرتبتي الإحسان، و بنى نظمه على أسلوب الحديث النبوي ولغته، وقال في شرح الإحسان وبيان مرتبته: (وأما الإحسان فقال من دراه ؛ أي النبي صلى الله عليه وسلم، وأكد أن مجموع هذه الأقسام الثلاثة هي الدين ، (والدينُ ذي الثلاثِ خُذْ أَقْوَى عُرَاكُ) قال رحمه الله:

فَوَلًا وَفِعْلًا - هُوَ الْإِسْلَامُ الرَّفِيعُ (فصل) وَطَاعَةُ الْجَوَارِحِ الْجَمِيعِ

وَهِيَ الشَّهَادَتَانِ شَرْطُ الْبَاقِيَاتِ قَوَاعِدُ الْإِسْلَامِ خَمْسٌ وَاجِبَاتٌ

وَالصُّومُ وَالْحَجُّ عَلَى مَنْ اسْتَطَاعَ ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ فِي الْقِطَاعِ

وَالرَّسْلُ وَالْأَمْلَاكُ مَعَ بَعْثِ قَرَبِ الْإِيمَانِ جَزْمٌ بِالْإِلَهِ وَالْكَتَبِ

حَوْضُ النَّبِيِّ جَنَّةٌ وَنِيرَانٌ وَقَدَرٌ - كَذَا صِرَاطٌ مِيزَانٌ

أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ وَأَمَّا الْإِحْسَانُ فَقَالَ مَنْ دَرَاهُ

وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ إِنَّهُ يَرَاكَ وَالَّذِينَ ذِي الثَّلَاثِ خُذْ أَقْوَى عُرَاكُ

فهذا نظم للحديث النبوي الشريف - حديث جبريل عليه السلام- : "بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْتَدَّ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ. وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ

مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحَجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَمُ رَبِّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عَمْرُؤُ اتَّذِرْنِي مِنَ السَّائِلِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جَبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ" ¹

2- قال في بيان فرائض الوضوء:

وَعَسَلُ وَجْهِهِ غَسَلُهُ الْيَدَيْنِ
وَمَسْحُ رَأْسِهِ غَسَلُهُ الرَّجْلَيْنِ
وَالْفَرْضُ عَمَّ مَجْمَعِ الْأُذُنَيْنِ
وَالْمَرْفَقَيْنِ عَمَّ وَالْكَعْبَيْنِ

فالبيتان مأخوذان من آية الوضوء:

﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾

المائدة الآية: 06

3- قال في بيان نصاب الزروع والثمار والذهب والفضة:

خمسَةُ أَوْسُقٍ نِصَابُ فِيهِمَا
عِشْرُونَ دِينَارًا نِصَابُ فِي الذَّهَبِ
فِي فِضَّةٍ قُلٌّ مَائَتَانِ دِرْهَمًا
وَرُبْعُ الْعُشْرِ فِيهِمَا وَجِبْ
فهو مأخوذ من حديث:

(1) انظر الحديث بكامله في صحيح البخاري من رواية أبي هريرة كتاب الإيمان رقم: (37) باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم. حديث رقم: (50) ومسلم في صحيحه من كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان حديث رقم: (8).

"فإذا كانت لك مائتا درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم وليس عليك شيء يعني في الذهب حتى يكون لك عشرون دينارا فإذا كان لك عشرون دينارا وحال عليها الحول ففيها نصف دينار فما زاد فبحسب ذلك قال فلا أدري أعلي يقول فبحسب ذلك أو رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وليس في مال زكاة حتى يحول عليه الحول"¹

وكذلك قوله:

من غنم ش مع بنت المخاض مُشبعه	في كل خمسة جمال جذعة
في ستة مع الثلاثين تكون	في الخمس والعشرين وابنة اللبون
جذعة، إحدى وستين وقت	ستاً وأربعين حقة، كفت
وحقتان واحداً وتسعين	بنتا لبون ستة وسبعين
لبون أو خذ حقتين بافتيات	ومع ثلاثين ثلاث أي بنات
في كل خمسين كمالات حقة	إذا الثلاثين تلتها المائة
وهكذا ما زاد أمره يهون	وكل أربعين بنت لللبون
مسنة في أربعين تستطر	عجل تباع في ثلاثين بقر
شاة لأربعين مع أخرى تُضم	وهكذا ما ارتفعت ثم الغنم
ومع ثمانين ثلاث مجزئة	في واحد وعشرين يتلو ومائة
شاة لكل مائة إن ترفع	وأربعاً خذ من مئتين أربع

فهي مأخوذة من حديث: " في خمس من الإبل شاة ، وفي عشر شاتان ، وفي خمس عشرة ثلاث شياه ، وفي عشرين أربع شياه ، وفي خمس وعشرين ابنة مخاض ، إلى خمس وثلاثين ، فإن زادت واحدة ففيها ابنة لبون ، إلى خمس وأربعين ، فإذا زادت واحدة ففيها حقة ؛ إلى ستين ، فإذا زادت واحدة ففيها جذعة إلى خمس وسبعين ، فإذا زادت واحدة ففيها بنتا لبون إلى تسعين ، فإذا زادت واحدة ففيها حقتان إلى عشرين ومائة ، فإذا كانت الإبل أكثر من ذلك ففي كل خمسين حقة ، وفي كل أربعين بنت لبون ، فإذا كانت إحدى

(1 أبو داود: سنن أبي داود الصفحة، رقم الحديث: 1573: قال الألباني: صحيح.

وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون ، حتى تبلغ تسعاً وعشرين ومائة ، فإذا كانت ثلاثين ومائة ففيها بنتا لبون وحقه ، حتى تبلغ تسعاً وثلاثين ومائة ، فإذا كانت أربعين ومائة ففيها حقتان وبنت لبون ؛ حتى تبلغ تسعاً وأربعين ومائة ، فإذا كانت خمسين ومائة ففيها ثلاث حقاقي ؛ حتى تبلغ تسعاً وخمسين ومائة ، فإذا كانت ستين ومائة ففيها أربع بنات لبون حتى تبلغ تسعاً وستين ومائة ، فإذا كانت سبعين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون وحقه ، حتى تبلغ تسعاً وسبعين ومائة ، فإذا كانت ثمانين ومائة ، ففيها حقتان وابنتا لبون حتى تبلغ تسعاً وثمانين ومائة ، فإذا كانت تسعين ومائة ففيها ثلاث حقاقي وبنت لبون ، حتى تبلغ تسعاً وتسعين ومائة ، فإذا كانت مائتين ففيها أربع حقاقي أو خمس بنات لبون ، أي السنين وجدت أخذت . وفي سائمة الغنم في كل أربعين شاة شاة إلى عشرين ومائة فإذا زادت واحدة فشاتان إلى المائتين ، فإذا زادت على المائتين ففيها ثلاث إلى ثلاثمائة ، فإن كانت الغنم أكثر من ذلك ففي كل مائة شاة شاة ، ليس فيها شيء حتى تبلغ المائة¹ .

أما قوله رحمه الله :

وَيَبْتُبُ الشَّهْرُ بِرُؤْيَةِ الْهَيْلَالِ أَوْ بِثَلَاثِينَ قُبَيْلًا فِي الْكَمَالِ

فهو مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم: " صُومُوا لِرُؤْيَيْتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْتِهِ، فَإِنْ غُبِيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ"².

وهكذا في الحج وكثير من المسائل الفقية، فهي مصاغة بأسلوب النصوص الشرعية.

- خاتمة :

في خاتمة هذا البحث الذي تحدّثنا فيه عن شخصية وموسوعية الشيخ سيدي عبد الواحد بن عاشر الفاسي رحمه الله، وقد تعرفنا أيضا على نشأته وحياته العلمية وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته، وحاولنا التركيز على منظومته المشهورة بـ " المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"، وبيننا منهجه فيها، وأخيراً أبرزنا أهم ملامح التكامل المعرفي فيها، والحمد لله رب العالمين.

ولعل أهم ما توصلت إليه من استنتاجات، يمكن أن نوجزه في الآتي:

(1) الألباني: صحيح الجامع، الرقم: 4261، قال الألباني: صحيح

(2) البخاري: صحيح البخاري: 1909.

- أن العلوم الإسلامية متكاملة ومتناغمة ويكتمل بعضها بعضا.
- كان أغلب علماء وفقهاء المسلمين السابقين موسوعيين ويتقنون أغلب العلوم الدينية.
- يُعد الشيخ عبد الواحد ابن عاشر رحمه الله من علماء المالكية الذي ساهم بعلمه ومؤلفاته في نشر الدين بكل أبعاده.
- تُعد منظومة "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"، كنز من كنوز العلم ، وهي عمدة مشايخ فقهاء المالكية في بلاد المغرب الكبير، وهي من نفائس المصنّفات، ومن أشهر منظومات الفقه، حيث جمعت بن العقيدة على طريقة الأشعرية، والفقه على مذهب السادة المالكية، والتصوف على طريقة الجنيد.
- يمكن للباحث أن يستشف ملامح التكامل المعرفي في هذه المنظومة؛ بين العقيدة والفقه والتصوف، وبين المنطق والنقل، وبين الفقه والأصول، وبين الفروع الفقهية وأدلتها الشرعية.

المراجع والمصادر:

1. ابن الجوزي : تلبيس إبليس، تح: محمد عبد القادر الفاضلي، ط1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1419هـ.
2. ابن تيمية: مجموع الفتاوى شيخ الإسلام، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ.
3. ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون: دراسة وتحقيق: علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط4، 2006م.
4. البخاري: صحيح البخاري ط1، مكتبة الصفا، القاهرة، 1423هـ.
5. بكر تركي عبد الأمير الحبيب، استخدام مداخل التكامل المعرفي في التطوير التنظيمي لمنظمات الخدمة العامة، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، بغداد 2006 .
6. البوسيفي فرح حسين: تعليقات أصولية حديثة على المرشد المعين على الضروري من علوم الدين،..
7. الجكني محمد حبيب الله: فتح المنعم ببيان ما احتيج لبيانه من زاد المسلم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1401هـ.
8. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ.

9. زروق أحمد أبو العباس الفاسي: عدة المريد الصادق، ضبطه: عاصم إبراهيم الكيلاني، دار الكتب العلمية- لبنان، ط1، 2007م.
10. الشاطبي: الاعتصام دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
11. الشريف عبد الله ولد إبراهيم ولد عبدات: كتاب فتح المعين في شرح المرشد المعين في الفقه المالكي مربوطاً بأدلته ، طبعة دار الفكر أنواكشوط موريتانيا ط1 2008.
12. الصغير الإفرائي: صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، مركز التراث الثقافي المغربي، الطبعة الأولى: سنة 2004م.
13. المناوي عبد الرؤوف: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية-لبنان، ط1، 2008م.
14. الغزالي أبو حامد: المنقذ من الضلال، ت: عبد الحلیم محمود، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1979،
15. الغلاوي الشنقيطي: المباشر على ابن عاشر، المطبعة التونسية، 1345هـ.
16. الغلاوي الشنقيطي: نظم المعتمد من الأقوال والكتب في المذهب المالكي، ت: بن قومار لخضر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2009.
17. ملكاوي فتحي حسن: منهجية التكامل المعرفي - مقدمات في المنهجية الإسلامية - ، الطبعة الأولى (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1432هـ/ 2011م)،
18. الكتاني أبو عبد الله: سلوة الأنفاس ومحادثه الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، سلوة الأنفاس، دار الثقافة، سنة 2004م.
19. مسلم: صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت.
20. ميارة الفاسي: الدر الثمين والمورد المعين، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني - مصر.